مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم
الإنسانية والاجتماعية



Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of
Human and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال

صراع الاستراتيجيات التركية–الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط حول الأزمة السورية

الباحثة: زبدة رفيقة – سنة ثانية دكتوراه

بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية –الجزائر

صراع الاستراتيجيات التركية-الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط حول الأزمة السورية

الباحثة: زبدة رفيقة – سنة ثانية دكتوراه
بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية -الجزائر

ملخص:

منذ نهاية الحرب الباردة شهد العالم عدة تحولات جذرية ، حيث انتقل العالم من نظام الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية ، و تزايد وتيرة العولمة ، و في ظل هذا التحول سعت بعض الدول الإقليمية كتركيا و إيران إلى بسط و تكريس نفوذها في منطقة الشرق الأوسط ، مع تراجع قدرات دول النظام الإقليمي العربي وتداعيات أحداث 11 سبتمبر ، احتلال العراق عام 2003.

تعتبر العلاقات التركية – الإيرانية من أقدم العلاقات و أكثرها حركية داخل المنظومة الإقليمية ، فتركيا تسعى للعب دور إقليمي في المنطقة عبر البوابة السورية من خلال تأييد المعارضة ضد النظام القائم ، بغية تأكيد دورها و مكانتها في رسم معالم المنطقة في مرحلة ما بعد الرئيس بشار الأسد ، في حين تسعى إيران بالتحكم في الملفات السياسية في المنطقة لإضعاف تركيا و سلبها الدور الإقليمي ، و كانت الأزمة السورية فرصة إيران للتفاوض مع الغرب حول برنامجها النووي ، و تأثيرها على كثير من القضايا المحورية لتكريس هيمنتها على المنطقة ، وهذا التعارض و التباين في التوجهات الإستراتيجية عرقل مسار حل الأزمة في سوريا.

الكلمات المفتاحية:

- صراع – الاستراتيجيات – النزاع التركي الايراني– الشرق الاوسط– الأزمة السورية

Abstract :

Middle east region witnessed several transfomation since the end of the cold war the world shifted from bipolar to unipolar system , and increased pace of globalization , and under these conditions some regional nations like turkey and Iran sought to exert their influence in that region , given the decline in the capacities of states system rab regional , and after September 11 , and the occupation of Iraq in 2003 ,

the tow countries went in competition for influence over the region.; The turkey Iran relations are one of the oldest and more dynamical in the regional organization. Turkey seeks to play a regional role in the region throughout the Syrian gate, by siding with the opposing Syrian party of current regime، in order to affirm its role and position in determining the futures of the area, after president Basher El Assad’s regime comes to an end.

However , Iran Endeavour to dominate the political files to weaken the turkey regional role, And the Syrian crisis as an opportunity Iran was a wining card for negotiating the west regarding its nuclear program, and to achieve regional dominance; This difference and discrepancy in attitudes impedes resolving the crisis in Syria.

مقدمة :

منذ تفكك الاتحاد السوفيتي، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب عالمي وحيد في النظام الدولي ، والذي تبدى في حرب الخليج الثانية، في مقابل اهتزاز منظومة الأمن القومي العربي، وما أعقب ذلك من أحداث 11 سبتمبر 2001، وتداعياتها على العراق 2003، وصولا إلى التغيرات الراهنة التي تشهدها المنطقة العربية منذ أواخر 2010.

كل هذه التغيرات المتسارعة فرضت تطورات بالغة الأهمية في بنية النظام الدولي، وكذا في المنظومة الإقليمية الشرق أوسطية باعتبارها كأحد أهم البني الخارجية له ، في إطار صراع الأدوار، و إعادة رسم خرائط العلاقات بين الدول.

فلم يكن التاريخ أبدا مجرد فترات و انتهت لكنه يعود بقوة ليعيد نفسه في نمط التفاعل الصراعي بين تركيا و إيران في منطقة الشرق الأوسط، بهدف استعادة أمجاد الماضي، من خلال رسم خطوط فاصلة لدورها، ولصياغة مكانة جديدة باتجاه مصالحها، على مسرح جيوستراتيجي متغير، وبالتحديد في سوريا والتي تمثل هذا الصراع بتعقيداته وأبعاده في هندسة المصالح وإعادة صياغة موازين القوى الجديدة .

المشكلة البحثية :

إن طبيعة النظام الإقليمي الشرق أوسطي وتوزيع القوة بداخله، فرض تنافس بين القوى الإقليمية والدولية من اجل المكانة والهيمنة، وهو ما يكرسه بشكل جلي الوضع الحالي في سوريا، باعتبار تركيا و إيران من أهم الفواعل المؤثرة على مساره، خاصة في ظل التباين الاستراتيجي بينهما حول قراءة التحولات الجديدة

ويمكن تلخيص هذه المشكلة في الإشكالية التالية:

ما حدود تأثير الصراع الاستراتيجي التركي – الإيراني في منطقة الشرق الأوسط على مسار الأزمة السورية؟

وتتدرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية :

* ما دوافع النفوذ التركي – الإيراني في منطقة الشرق الأوسط؟

* ما انعكاسات البيئة المحلية و الإقليمية و الدولية على التوجهات الإستراتيجية لكلا البلدين؟

* هل تعد الأزمة السورية نقطة مفصلية في مسار العلاقات الصراعية التركية– الإيرانية في المنطقة؟

للإجابة على الإشكالية العامة، ننطلق من الفرضية التالية :

إن احتدام صراع الأدوار بين تركيا وإيران في سوريا حول تحصيل القوة و المكانة ،يدفعهما حتميا إلى تبني استراتيجيات متصارعة في ظل بناء تحالفات إقليمية ودولية من جهة، واعتماد مضامين صلبة لترجيح المصالح القومية من جهة ثانية .

أهداف البحث:

– توضيح رؤية النخب الحاكمة في كل من تركيا وإيران لمنطقة الشرق الأوسط، وآلية التحرك إتجاهها.

– هو إطار يساعد على فهم منطلقات الإستراتيجية الأمنية التركية والإيرانية في نهجها المعاصر وأهم تطوراتها على الساحة الإقليمية كمنطلق لتفسير الوضع في سوريا.

– إبراز المستجدات في التعامل مع الأزمة الأمنية في سوريا.

- محاولة إدراك مدى التهديدات الأمنية في منطقة الشرق الأوسط، وانعكاساتها على الأزمة في سوريا .

المنهج المتبع :

يتعلق بالمنهج الذي سيتبع في تحقيق أغراض البحث من إجابة على تساؤلاته، وبلوغ الأهداف التي رسمت له، ومن هنا اعتمدنا على مجموعة من المناهج البحثية :

- منهج تحليل النظم الذي يعتبر من أهم إفرازات الثورة السلوكية و التي كشفت عن ثلاث مستويات (الدولة ، النظام الإقليمي ، النظام الدولي) من خلال تحليل العلاقات بينها ، وحاولنا رصد التفاعلات السياسية بين إيران و تركيا وفقا لطبيعة النظام الإقليمي الشرق أوسطي،في إطار التصعيد أو التخفيف في حدة الصراع بينهما .

- أما المنهج التاريخي المقارن من خلال استعراض مجمل الأحداث التاريخية وتحليل مواقف و سياسات كل من تركيا و إيران في الشرق الأوسط .

- وفي الأخير اعتمدنا منهج دراسة الحالة، باعتبار الأزمة السورية بمثابة النموذج الأمثل في تحليل الطبيعة الصراعية بين تركيا و إيران.

كما سنحاول الاعتماد على المقاربات النظرية الكلية والجزئية، وذلك لتحليل موضوع البحث، ما بين النظرية الواقعية التي تعتمد على التوظيف العقلاني للقدرات، فالدول تتصارع من اجل القوة والبقاء في نظام فوضوي يفتقد لسلطة مركزية، وكذا اعتماد مسألة الأفكار إلى جانب القوة المادية وهو ما تطرحه النظرية البنائية، كما أن لمقاربة الدور تأصيلها في هذا البحث، ذلك أن إدراك الدول لقدراتها يحدد توجهاتها وطبيعة أدوارها، في استغلال الفرص التي تتناسب وحجم الإمكانات المتوفرة، وتركيز الدراسة على المحاور التالية :

المحور الأول: الإدراك التركي – الإيراني للمتغيرات الإقليمية الشرق أوسطية.

1- أبعاد العلاقات التركية – الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط.

2- دوافع النفوذ التركي- الإيراني في منطقة الشرق الأوسط.

المحور الثاني : سوريا في الحسابات التركية – الإيرانية

1- أهمية سوريا في التصور التركي – الإيراني

2- واقع الأزمة السورية.

المحور الثالث: انعكاسات الإستراتيجية التركية – الإيرانية على الأزمة السورية.

1- التحولات الإستراتيجية للدورين التركي- الإيراني في المنطقة.

2- تقاطع أهداف البلدين في سوريا.

المفاهيم المفتاحية : نقترح مجموعة من المفاهيم لاستيعاب دلالات موضوع البحث

* الإستراتيجية :

لن نخوض في التحليل الكلاسيكي للمصطلح، وطرح مختلف المدارس التي تناولته، بل سنحاول التركيز على البعد الأمني في التفكير الاستراتيجي الذي ينظر إلى أمور الصراع وغيرها من الاهتمامات، وفق قواعد محددة من التفكير تخلل نقطة البدء لتصل إلى الهدف الاستراتيجي النهائي، وبينهما يمكن تحديد مسارات العمل مع تبين العوامل مساعدة و أخرى مثبطة، خاصة ما يتعلق منها بطرح الاستراتيجيات للقوى الإقليمية والدولية، والتسابق بين الدول ذات الاستراتيجيات التنافسية على الترتيب داخل منظومة المجتمع الدولي .[1]

فلقد جعلت الدول من أمنها هدفا استراتيجيا أعلى ،لأن التحديات التي تواجه الأمم تختلف باختلاف العصور وتتأثر بالمتغيرات، وعلى هذا الأساس تعمل الدول على تطوير وتطبيق جميع أدوات القوة الوطنية بقصد تحقيق الأهداف الإستراتيجية الكبرى، وإذا كانت القوة العسكرية الأداة الرئيسية لتحقيق هذه الأهداف فلا يمكن استثناء العناصر السياسية والاقتصادية...فهي إجراءات مكملة لها.[2]

من هنا يمكننا القول أن الإستراتيجية " هي التوظيف العقلاني لمختلف القدرات ذات الفاعلية في تحقيق الأهداف سواء السياسية أو الاقتصادية...وفق التوفر المستمر للبدائل المناسبة لكل المستجدات ".

* الصراع :

باعتبار أن العلاقات الدولية هي التفاعلات ثنائية الأوجه تأخذ نمط تعاوني و آخر صراعي، وما تهتم به هذه الدراسة هو النمط الثاني، ويعنى بين طرفين أو أكثر يوجد بينهما تناقض في المصالح ، ويتم التعبير عن هذا التناقض من خلال تجاه عدائية، ومحاولة الحصول أو تحقيق هذه المصالح من خلال تصرفات ، تؤدي إلى الإضرار بالأطراف الأخرى، سواءا أكانت أفراد أم جماعات أم دول".[3]

*الأزمة:

تعد الأزمة السياسية هي المتعلقة بمظاهر الصراع الدولي والنزاع بين الحكومات والدول ، وترتبط أيضاً بعنصر التهديد للمصالح الدولية والأمن الوطني للدول.

*الشرق الاوسط :

يقول ميشال بانكس أن " الأقاليم هي ما يريدها الساسة و الشعوب أن تكون "[4] ، ذلك أن مصطلح الشرق الأوسط لا يشير إلى منطقة جغرافية متعارف عليها بل أنه مصطلح سياسي– إستراتيجي في نشأته و استخدامه ، فالعامل الخارجي الممثل في القوى الكبرى هو العامل المحدد لجغرافية هذه المنطقة على حساب توجهات قادة الدول الشرق أوسطية نظرا لأهميتها الإستراتيجية والجيوبوليتيكية، ففي معظم التعاريف الجغرافية المحددة نجد أنها تضم كل من تركيا وإيران وسوريا .

المحور الأول : الإدراك التركي–الإيراني للمتغيرات الإقليمية الشرق أوسطية.

1– أبعاد العلاقات التركية – الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط :

مرت العلاقات التركية الإيرانية بسلسلة طويلة من الصراعات ، فلقد كان التاريخ شاهدا على ذلك بين المشروعين الصفوي الإيراني من جهة والعثماني التركي من جهة أخرى، ولتحذير التناقض بين المشروعين، ولتثبيت هوية معادية للسلطنة العثمانية، عهد السلطان إسماعيل الصفوي إلى إعلان تشيع إيران في القرن السادس عشر، وهكذا اتخذت العلاقات بين البلدين أشكالا دراماتيكية حيث قامت الحروب المتتالية بينهما، ومن ثم أبرمت المعاهدات لتثبيت حدود البلدين واعتراف كل منهما بالآخر حاميا لأحد المذاهب الإسلامية.[5]

فمنذ تأسيس تركيا الحديثة على يد كمال أتاتورك انتقلت العلاقات بينهما إلى الهدنة، حيث جذبت الإصلاحات التي قام بها بانفتاحه على الغرب الشاه رضا بهلوي ، و من ثم شجعت دخولهما في حلف بغداد 1955 لمواجهة النفوذ السوفياتي في الشرق الأوسط

ومع قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 بزعامة آية الله الخميني انقطعت فجأة العلاقات ذات البعد الأمني ، ذلك أن الأتراك لم يخفوا خوفهم من تصدير الثورة إليهم ، ومن ناحيتهم أبدى الإيرانيون قلقهم من العلمانية التركية ، واستمرت العلاقات بين البلدين ما بين مد و جزر في بيئة غير مستقرة، إلى أن جاء تطبيع العلاقات بينهما في أواخر عام 2002 ،حين بدا واضحا عزم الولايات المتحدة الأمريكية على غزو العراق، وقد عبر محمد خاتمي على ضرورة إقامة شكل من التحالف بين تركيا وإيران و سوريا لمواجهة احتمال إعلان دولة كردية مستقلة شمال العراق، وتزامن ذلك مع وصول حزب العدالة و التنمية في تركيا إلى سدة الحكم، والذي لاقى ترحيبا واسعا من الحكومة الإيرانية ، وشجع التعاون بينهما أكثر خاصة في المجال الاقتصادي ، وهو ما عبر عنه أردوغان بقوله : " إننا ننطلق في علاقاتنا مع إيران وفق مصالحنا لا تسترعينا مصالح الآخرين ".[6]

فكلا البلدين يدركان أن حماية أمنهما القومي تقتضي التنسيق بينهما في إطار المصلحة القومية لكل منهما، إلا أن التحديات الراهنة التي تشهدها المنطقة العربية منذ أواخر عام 2010، قد أعطت زخما جديدا للصراع بينهما، بإعادة التوتر والتصعيد خاصة في الملف السوري، باعتباره الامتحان الجديد لهذه العلاقة والحاسم للدور المهيمن في التوازنات الإقليمية .

2- دوافع النفوذ التركي – الإيراني في منطقة الشرق الأوسط :

- انهيار النظام الإقليمي العربي :

تدل قراءة التاريخ على عدم استفادة العرب من التحولات الدولية، و دفع الثمن غاليا على حساب المحاولات النهضوية، والذي جسدته اتفاقية سايكس بيكو بالإضافة إلى تفاعلات الصراع مع إسرائيل، وأتت نهاية الحرب الباردة والحروب في المنطقة إلى تشتيت وقلب خط التماس بين العرب والأكراد، والترك والفرس، وخط التقاطع بين السنة والشيعة، وجرى تهميش القرار العربي بين ثلاثة قوى إقليمية إسرائيل و تركيا و إيران .[7]

فإذا اعتبرنا أن البنية الهيكلية للنظام الإقليمي العربي تتشكل من ثلاثة مقومات أساسية، يتمثل الأول في حدود النظام سواء الحدود الوطنية للدولة، أو حدوده كنظام كما تعبر عنه جامعة الدول العربية، و المقوم الثاني يتعلق بالقيم ووحدة هوية النظام العربي في حين ينصرف المقوم الثالث إلى امن النظام العربي، ويتمثل في وجود تصورات مشتركة حول مصادر التهديد .[8]

وفي هذا السياق، نلمس جميع هذه المقومات من خلال التطورات الأخيرة، ذلك انه لم تعد الحدود واضحة في بعض أجزاء الإقليم، وينطبق ذلك على الحدود التركية الجنوبية وحدود سوريا الشمالية، حيث يتحرك مقاتلوا بعض الفصائل، وتدفق اللاجئين، كما لا ننسى أن سوريا في وقت سابق أسقطت الحدود مع لبنان في الحرب الأهلية[9]، كذلك مسألة البحث عن دولة القائد في النظام العربي في ظل التطورات الراهنة، لا يتفق مع الواقع الجديد الذي خلقته هذه التطورات، خاصة في ظل تطبيق إستراتيجية براغماتية في إدارة العلاقات الخارجية، التي تقوم على فكرة التوافق والتحالف المرن (فصل القضايا)، أما عن مصادر التهديد فلم تعد الدول وحدها تشكل تهديدا بالنسبة إلى بعضها البعض، بل أصبح النمط المميز لعلاقة الفاعلين المسلحين من غير الدول مع الدولة هو

العمل من داخل الدولة من اجل الحفاظ على استقلال كيانهم ومنطق نفوذهم[10]، والعمل على تغيير توجهات سياسات الدولة الخارجية، ما يتفق مع مصالحهم وهو ما لا يتفق مع السياسة الواقعية، وهذا إن دل فهو دليل على هشاشة النظام الإقليمي وسهولة اختراقه.

- حرب العراق 2003:

تجد معادلة التأثير الخارجي و التكييف الداخلي تأصيلها الحاضر في المشهد العراقي ، نظير تراكم مصفوفة إشكاليات داخلية حادة جرى إشعال فتيلها، تكيفا مع الأهداف الخارجية تجسدت عبر العدوان الانجلو-أمريكي في 09 افريل 2003، مخلفا ورائه تركة ثقيلة من التحديات و عدم الاستقرار والأمن، خاصة بالنسبة للدول ذات الحدود الطويلة معها كتركيا و إيران .

فإيران منغمسة حتى النخاع في الشأن العراقي، وتمارس نفوذا و تأثيرا قويا هناك، بعد تراجع الدور الأمريكي و أدوار الفاعلين الآخرين في المنطقة (مصر – السعودية)، وكذا بعد تدهور الأوضاع بين تركيا و الولايات المتحدة بسبب رفض دعمها في احتلال العراق، لأسباب أمنية تتعلق أكثر بالمشكلة الكردية، ومعضلة عدم الاندماج الوطني وتعاطي النظام التركي معها ، كذلك فان تركيا وبعد النفوذ الإيراني وهيمنته على العراق ،[11] رأت أنها سوف تطوقها بهلال يتشكل من حدود أرمينيا إلى الساحل المتوسط، لذلك عند اندلاع الثورة السورية لاحت تركيا مثل السعودية فرصة كبيرة لتصحيح موازين القوى .

كما أن جزءا من الصراع الطائفي بات يتصدر الأتراك والإيرانيين بشكل كبير في الشمال العراقي، فإيران تسعى إلى تقويض البني الاجتماعية في كل من سوريا والعراق ولبنان وراحت تكشف عن نهج يرمي إلى تغيير التركيبة الديمقراطية، عبر عمليات التهجير ضد السنة في حكم نوري المالكي، في حين تركز تركيا وتستغل علاقاتها الإستراتيجية مع البرزاني في الحصول على المزايا النفطية (ميناء ا جيهان) وهو الخط الذي تحاول إيران مأخذ السير فيه، ذلك أنها قدمت عرضا إلى سلطات إقليم كردستان العراق لإنشاء أنبوب لنقل نفط الإقليم إلى الأسواق العالمية عبر الأراضي الإيرانية . [12]

- الحراك الثوري العربي :

شكلت أحداث الحراك الثوري العربي التي شهدتها عدد من الدول العربية اختبارا صعبا وتحديا كبيرا ومركبا للسياسة الخارجية التركية، بين مساندة الجماهير من جهة أو الحفاظ على تحالفاتها الوثيقة مع الأنظمة من جهة ثانية، خاصة في أدبيات سياستها الخارجية التي قضت الالتزام بعدم الانخراط في الشؤون الداخلية انطلاقا من المبدأ الاتاتوركي" سلام في الداخل سلام في الخارج"، فهذا التعدد في أنماط المواقف التركية، كان تبعا لاختلاف المصالح السياسية والروابط الاقتصادية، والتقديرات الأمنية فيما بين التأييد والتردد والتجاهل.

في حين يمكننا إيجاز أهم سمات المواقف التركية في مايلي :

- التمركز: سعت تركيا لتحقيق ذلك بهدف تعظيم الحضور في المنطقة، والاضطلاع بدور القوة الإقليمية الفاعلة والراعية لعمليات التحول الديمقراطي.

- الاعتدال: أي التركيز على إظهار تركيا كقوة إقليمية معتدلة ، وذلك بهدف نيل قبول اغلب القوى الإقليمية على خلاف إيران .

- المبادرة : بالتوظيف السياسي لأحداث بهدف تعظيم العوائد السياسية والاقتصادية ، فقد وظفت الاضطرابات في البحرين وسوريا من اجل تمتين العلاقات مع دول الخليج ، التي تشاطرها القلق حيال تنامي النفوذ الإيراني في المنطقة

- التمدد : بالترويج للنموذج التركي في المنطقة العربية، وذلك بالتركيز على دعم و توثيق العلاقات مع القوى والأحزاب السياسية، خصوصا حركة الإخوان المسلمين . [13]

أما إيران ، و ما بين دعم و دحض هذه الثورات فالمشهد الأول ظهر جليا في مساندة الحراك الثوري في مصر (ثورة 25 يناير) و التي اعتبرتها امتداد لثورتها الإسلامية ، خاصة بعد وصول رئيس ذو خلفية إسلامية ، ذلك أنه إذا لم يتفق مع سياستها في المنطقة فلن يعارضها على الأقل ، إلا أن ذلك لم يحدث و سرعان ما تغير الوضع .

أما في سوريا فقد اعتبرت ما يحدث مؤامرة غربية في تقويض دعائم المقاومة و الممانعة و اعتبرتها خط احمر لا تسمح لأي قوة تخطيه .

- الحرب على الإرهاب :

شكلت أحداث 11 سبتمبر 2001 ، و ما يسمى بالحرب على الإرهاب نقطة فاصلة في توجيه الخطاب الحضاري نحو إقليم الشرق الأوسط ، و تغيير هذه المنظومة الإقليمية بين الفواعل الرسمية وغير الدولاتية من حيث الأدوار و التأثير ، فعند إعلان الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن الحرب على الإرهاب، كان الرابح الرئيسي إيران، فقد أجادت إدارة و توظيف هذه الحرب ، فمن جهة استفادة من الإطاحة بنظام طالبان المعادي عقائديا للشيعة ، وفي زحزحة منافس إقليمي على النفوذ وهو نظام الرئيس الراحل صدام حسين من جهة ثانية ، غير أن تركيا لم تدرك اللعبة جيدا مما أدى إلى تقويض نفوذها مقارنة بمنافسها، إلا أن المرحلة الجديدة من الحرب على الإرهاب تختلف بدرجة كبيرة عن سابقتها، ذلك أنها دار على أراضي دولتين عربيتين على وجه التحديد، هما العراق و سوريا، و لكل منهما أهمية كبرى في حسابات القيادة السياسية التركية و الإيرانية. [14]

قدم رئيس الولايات المتحدة السابق باراك اوباما في 10-09-2014 ما سمي بإستراتيجية مواجهة تنظيم الدولة ، لكن الجانب التركي رفض آنذاك المشاركة في العملية العسكرية ، رغم انه أبقى الباب مفتوح من خلال التركيز على المساعدات اللوجستية و الإنسانية ، و كانت رسالتها واضحة مفادها لا يمكن التدخل من دون إستراتيجية شاملة ،كما أن مسألتي المنطقة العازلة ، و مناطق الحظر الجوي أمران لا غنى عنهما ، من اجل وقف تدفق اللاجئين إليها، و هذا التجاهل الأمريكي للحساسية لتركية إزاء الملف الكردي و ملف مكافحة الإرهاب المرتبط به زاد من التوتر بينهما ، خاصة بعد دعم أمريكا للأكراد للسيطرة على عين العرب 20-10-2014 معلنة أنها لا تعد حزب الاتحاد الديمقراطي حزبا ارهابيا . [15]

في حين تتخوف إيران من أن ترتبط الحملة الدولية على داعش و حلفائه ، بالسعي لتغيير ميزان القوى السياسية داخل العراق لغير صالح القوى المتحالفة مع إيران ، أما في الحالة السورية ، فلدى إيران ربما أسباب أكثر للتشكيك في حقيقة النيات الغربية و الأمريكية على وجه الخصوص ، بشأن الدوافع في مد الحرب على داعش ، في أن تكون مجرد مقدمة و غطاء لشن عمل عسكري في سوريا بدون ولاية أممية من مجلس الأمن ، بل

وبدون التنسيق المسبق مع الأطراف الأخرى ، منها إيران ، روسيا و الصين على وجه الخصوص.[16]

المحور الثاني : سوريا في الحسابات التركية الإيرانية

1- أهمية سوريا في التصور التركي-الإيراني :

تعتبر تركيا و إيران من أهم الدول المجاورة للعالم العربي ، نظرا للمعطيات الجغرافية و التاريخية و الحضارية التي تتمتعان بها ، إضافة إلى الهويتين التركية و الفارسية اللتين لهما حسابات خاصة على الدوام بالنسبة إليه ، حتى وصفت هذه العلاقة كالعلاقة بين الماء و الزيت " لا يمتزجان أبدا " و قوامه هذه المرة دور كل منهما في سوريا .

تحتل سوريا بموقعها الجيوستراتيجي في منطقة الهلال الخصيب أهمية كبرى و استثنائية خاصة بالنسبة للمشروعين التركي و الإيراني ، فعدد قليل من الدول يتمتع بأبواب جغرافية مفتوحة على أبعاد جيوسياسية متباعدة لكن متفاعلة ، فضلا عن موقعها كجبهة متقدمة مع إسرائيل .[17]

مثلت تركيا في النصف الثاني من القرن العشرين ، ركنا أساسيا من أركان تنفيذ استراتيجيات المنظمة الغربية و الاتحاد السوفيتي من جهة ، و عامل صد لتأثير الأخير في منطقة الشرق الأوسط من جهة ثانية ، و أخيرا عامل توازن مع إيران و مشروعها ، فلدى تركيا و سوريا حدود برية مشتركة ، تحتل تركيا فيها موقع البوابة المفتوحة شمال سوريا و غربها ، بينما تحتل سوريا موقع البوابة المفتوحة على جنوب تركيا ، و يمثل هذا الموقع أهمية كبرى في المجال الاقتصادي ، فضلا عن استخدام المناطق المائية المشتركة ، كما لا ننسى الناحية الأمنية سواء المتعلقة بحزب العمال الكردستاني أو عملية السلام في الشرق الأوسط.[18]

أما أهمية سوريا جيواستراتيجيا بالنسبة إلى تركيا ، نجد أنها تشكل المحور الأساسي لسياستها على صعيدين على الأقل : يرتبط الأول بالسياسة التركية الشرق متوسطية و توازناتها ، ما يمثله المثلث تركيا-سوريا-مصر توازنات خط شرق المتوسط ، و يرتبط الثاني بالسياسة التركية في الشرق الأوسط ضمن الإستراتيجية المشرقية " العمق الاستراتيجي ".

أما بالنسبة إلى إيران ، فان سوريا بمعطياتها الجيوسياسية تقع في قلب المشروع الإيراني ، فالتحالف مع النظام السوري يجعل من إيران لاعبا مهما في لبنان ، في قلب القضية الفلسطينية ، و هو ما يسمح لها باختراق القاعدة الشعبية العربية و الإقليمية ، خاصة فيما سبق اندلاع الثورات العربية وعلى الصعيد العسكري ، تعتمد إيران إستراتيجية المواجهة غير المتوازنة ، فهي تدافع عن نفسها عبر اذرع إقليمية ، التي لا تمثل دول فقط بل فواعل غير دولاتية (حزب الله ..) ، و التي تحقق في الإطار الجيوبوليتيكي الأهداف الرئيسية الثالثة للمشروع الإيراني : التوسع الإقليمي ، قيادة العالم الإسلامي، حماية امن إيران،و المفارقة أن العلاقات الإيرانية السورية في هذا الإطار،لا تستند إلى عوامل داخلية نهائيا ، بل إن المنطق يقول إذا ما قسمنا هذه العوامل فمن المفترض أن يكونا طرفي نقيض وليس حليف .[19]

فالأول قومي فارسي و الثاني قومي عربي ، و الأول نظام إسلامي و الثاني علماني ، والأول في دولة تمثل الثقل الشيعي و الثاني في دولة تمثل الثقل السني في منطقة الهلال الخصيب، لكن مبدأ المصلحة هو المحرك الأساسي لهذه العلاقة .

و ضمن هذا السياق نجد أن لكل من تركيا و إيران أهمية في التوازن الجيوسياسي في سوريا ، بناءا على توظيف القدرات و الإمكانات ، سعيا لتحقيق أكبر قدر من المكاسب كل على حساب الأخرى .

2- واقع الأزمة السورية :

جاءت موجات التغيير و الحراك العربي التي سادت الوطن العربي منذ نهاية عام 2010 لتهدد خريطة الشرق الأوسط بشكلها التقليدي ، و لتزيد من احتمالات حدوث تغيرات رئيسية في أنماط التحالفات القديمة ، و قد كانت سوريا مهيأة أكثر من غيرها لذلك ، حيث مرت بفترة حراك ديمقراطي بين عامي 2004-2007 سمي بربيع دمشق .

بدأت التظاهرات الشعبية السورية في مارس 2011 استجابة لما بدا انه مد شعبي عربي مطالب بالحرية، و الديمقراطية، و العدالة الاجتماعية...، حاول النظام في بادئ الأمر إدارة الأزمة داخليا عبر تقديم تنازلات سياسية من قبيل إقرار الحق القانوني في التظاهرات ، إلغاء قانون الطوارئ، لكن السلوك السيئ للأجهزة الأمنية قوض من مصداقية الإجراءات الحكومية المعلنة لدى الشعب السوري ، وعمل هذا على تحول الوضع إلى حرب أهلية تتصارع فيها أطراف عديدة إقليمية و دولية، مما اكسبها طابعا أخر و هذا كله دون حساب لمصالح الشعب السوري[20] ، ذلك أن تطورات الصراع بين القوى الشعبية و السياسية من جهة والنظام من جهة ثانية مثل اختبار صعبا لكليهما، بسبب عدم جاهزية كلا منهما في التعامل مع هذه التغيرات ، وزيادة على ذلك التدخل المبكر لكل تركيا و إيران .

فبرغم من محاولات تركيا التحكم في الوضع السوري و السعي لتحقيق مكاسب هناك إلا أن أدائها في الغالب كان مفككا و مرتبكا ، إضافة إلى التباين الواضح في دعم جبهات من المعارضة ماديا و معنويا على حساب جبهات أخرى ، في مقابل إجادة إيران إدارة الصراع بثبات و التحكم في العقد الجيوسياسية المهمة في المنطقة .

على غرار ذلك ، و بعد فشل كل محادثات جنيف في إيجاد تسوية لحل الأزمة السورية ، والتي واجهت انحسار في حسم الوضع، نظرا إلى عدم استعداد الأطراف الداخلية و الإقليمية والدولية في الانخراط للحلول مع تصدر مسألة خلاف الأولويات و ترتيب المصالح في مقدمة عرقلة هذه المفاوضات، مع بقاء الولايات المتحدة أمام حضور مطلوب و دور مفقود ، على اعتبار أنها تحتكم لمبدأ العقلانية، كما يقول كيسنجر" الواقعية لا تعني التهور بل البحث عن وكلاء لتسيير إستراتيجيتهم"

المحور الثالث: انعكاسات الإستراتيجية التركية – الإيرانية على الأزمة السورية.

1- التحولات الإستراتيجية للدورين التركي- الإيراني في المنطقة.

شهدت السياسة الخارجية التركية تحولات بعد تسلم حزب العدالة و التنمية الحكم عام 2002 ، سمحت بإعادة تعريف موقعها ودورها في المنطقة(الصعود الإقليمي التفاعلي) ، ويأتي هذا ضمن رؤية العمق الاستراتيجي التي تسعى إلى توسيع موجة خياراتها في مواجهة محاولات عزلها ، لتتحول من دولة هامشية إلى دولة حاسمة من الناحية الجيوبوليتيكية ويؤدي الاقتصاد في الإستراتيجية التركية دورا مزدوجا فهو غاية و في نفس الوقت وسيلة إلى

تحسين علاقاتها مع الجميع بعيدا عن المحاور الإيديولوجية ، و تتلخص الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية التركية :

- انجاز جميع شروط تحقيق عضوية الاتحاد الأوروبي ، و التحول إلى عضو فاعل فيه عام 2023.
- مواصلة السعي لتحقيق التكامل الإقليمي عبر تعزيز أشكال التعاون الأمني و الاقتصادي الإقليمي في المنطقة
- السعي لتؤديه دور مؤثر في حل النزاعات الإقليمية .[21]

فتصالح تركيا مع ذاتها الحضارية و الإسلامية ، بما يعرف بالعثمانية الجديدة فرض عليها سياسة مثالية في جوارها الإقليمي ، و الدخول من زاوية القوة الناعمة و التوجهات النيوليبرالية في سياستها الخارجية ، و التي لا يمكن لها أن تصمد أمام تعقيدات المنطقة إذا لم يتم تطبيعها بالواقعية ، خاصة أن حدود التغيرات في توجهاتها الخارجية محكومة بمنظومة التحالفات و إعادة صياغتها .[22]

فانحصار قدراتها على التحكم بقواعد اللعبة في الأزمة السورية ، فرض عليها العودة إلى سياسة تصفير المشاكل و وجوب عقلنة أدوارها ، بعد مجابهتها و صدها للكثير من القوى الدولية و الإقليمية ، و هو ما عبر عنه رئيس الوزراء بن على يلدريم : " إن السياسة الخارجية لحكومته ستعتمد على كسب مزيد من الأصدقاء ، و تقليل الأعداء ..."، و قد تجسد ذلك في تطبيع العلاقات مع السعودية و الإمارات ، و التوصل إلى اتفاق مصالحة مع دولة الاحتلال الإسرائيلي ، إلى مستوى رفع الفيتو ، الذي كانت تضعه على مشاركة إسرائيل في مناورات حلف الناتو ، و كذا تصليح العلاقات مع روسيا بعد حادثة الطائرة أواخر 2015 من خلال محادثات إستانا ، مع التخفيف من حدة الخطاب السياسي المعادي و الموجه للنظام السوري .[23]

و يمكننا رصد عدة أسباب رئيسية لمتغيرات السياسة التركية مؤخرا ، أهمها :[24]

- إخفاق أنقرة في فرض و إحداث انجازات تذكر في ملفات المنطقة خاصة الأزمة في سوريا . إذ تحولت من دولة إقليمية لها تأثير كبير إلى جارة متأثرة بارتداداتها عليها، و ذلك مما وجب عليها التخفيف من المطالب عالية السقف ، و كان من أهم نتائج ذلك اتجاه تركيا إلى مزج القوة الناعمة بالقوة الصلبة ، تحديدا في عملية " درع الفرات" .
- افتقدت إلى التحالفات القوية ، فقد راهنت على تحالف الديمقراطية وفق تعبير وغلو مع القاهرة ، بعد ثورة 25 يناير، و سعت لبناء تحالف قطري سعودي تركي و الذي تأزم بسبب أزمة الدولتين الخليجيتين 2017.
- تسارع خطوات المشروع الكردي على حدودها الجنوبية، و هو تحدي كبيرا لخطوط الأمن القومي، مع تجاهل حلفائها لذلك.
- المحاولة الانقلابية الفاشلة ، و الذي رغم فشله إلا انه عبر على هشاشة الوضع الداخلي فيها ، و ما يعمق ذلك بداية موجة من الاحتجاجات للشارع التركي على سياسة بلاده.

كما انه من ضمن الإستراتيجية الجديدة التي أعلنتها تركيا على اثر محاولة الانقلاب تلك ، هو عزم قواتها على المشاركة في استعادة السيطرة على مدينة الموصل التي تخضع لسيطرة ما يعرف بتنظيم الدولة منذ عام 2014، وسط رفض تام من الحكومة العراقية التي اعتبرته تدخلا سافرا في شؤونها الداخلية و خرقا لمبدأ السيادة ، في حين أن الحكومة العراقية الشيعية المدعومة من إيران تتعرض لضغوط شديدة حتى لا تسمح لقوات تركيا التواجد على الأراضي العراقية ، و هو قلق من الأهداف المستقبلية لتركيا في إعادة مسألة الحق التاريخي لها في مدن كالموصل و كركوك .[25]

في الثمانينات من القرن الماضي ، وضعت إيران لبنات مشروع الإستراتيجية الوطنية – نظرية أم القرى– يعطي هذا المشروع وضع إيران في العالم الإسلامي أهمية ، و يضفي عليها هالة من القدسية ، كما يعطي أهمية قصوى لموقعها الجيوبوليتيكي في السياسة الخارجية من أجل تحقيق التمدد الإقليمي ، و فرض الهيمنة ، يفسر محمد جواد لابريجاني هذا بقوله : " إن هذه الإستراتيجية تحتم على إيران ألا تحد حدودها الجغرافية دورها ، إذ لا دولة باستثناء إيران باستطاعتها قيادة العالم الإسلامي"، و قد جرى رصد هذه الإستراتيجية بواحدة أخرى تعرف باسم مشروع الإستراتيجية الإيرانية العشرينية 2005-2025 و هي وثيقة رسمية تضع التصورات المستقبلية للدور الايرني ، بناءا على ما جاء فيها ، فان إيران بصدد التحول إلى نواة مركزية لهيمنة تعددية داخلية في منطقة جنوب غرب أسيا (المنطقة العربية تحديدا شبه الجزيرة العربية و بلاد الشام و سيناء) و هو ما يعني :

- أن إيران ستكون بؤرة منطقة جنوب غرب أسيا و مركزها ، بالنظر إلى قوتها و قدراتها الوطنية و مكانتها الجغرافية – السياسية و الجغرافية– الإستراتيجية الاقتصادية و دورها الاتصالي.
- ستؤدي دور قيادة التنظيم السياسي و الاقتصادي و الأمني لهذه المنطقة ، كما أنها لن تعمل على المواجهة مع القوى المهيمنة الخارجية ، إلا في الساحات التي توجد فيها مصالح متعارضة بينهما.[26]

كما تركز إيران على الهوية الدينية الشيعية في توجهاتها الخارجية الرامية إلى تحقيق قوة مهيمنة على المنطقة ، و الذي أصبح أكثر فعالية بعد سقوط العراق 2003 ، و الذي مثل العتبة التي أخرجت إيران جزئيا من عزلتها ، كما كان الملف النووي حاضرا في التعامل الغربي معها ، من خلال إدراجه في أي مفاوضات حول القضايا الإقليمية (سوريا–اليمن –العراق)، و الذي كان له تداعيات سلبية و ايجابية على الجانب التركي بعد التوصل للاتفاق ، ذلك أن رفع العقوبات عن إيران سيزيد من التعاون الاقتصادي بين البلدين ، لكن في ظل بقاء التناقض في الأجندة السياسية و الإقليمية للطرفين ، سيؤدي إلى تأكل التوازن في ميزان القوى لصالح إيران .

و أمام هذا لا يمكننا إنكار التحديات التي تواجه الرئيس روحاني بعد إعادة انتخابه ، ليس فقد بسبب الاستحقاقات الخارجية ، و وصول إدارة ترامب فحسب ، بل بسبب تفاقم الانقسام الداخلي ، و عدم التناغم مع المرشد الأعلى على خمائني ، ربما ما يمثل بتهديد الولي الفقيه رأس المنظومة القائمة منذ 1979 ، ذلك أن الرأي العام الإيراني

وجد فرصة للتعبير في إطار التمرين الديمقراطي الداخلي حسم أمره لصالح الاتجاه الأقل تشددا ، و الأكثر قبولا في العالم (المنهج القائم على الموازنة بين المبادئ و الواقع)، و هو ما تحاول تركيا اليوم تسليط الضوء على الوضع الداخلي الإيراني عبر وسائل الإعلام من اجل تحريك الرأي العام الدولي و توسيع دوائر مناهضيها .[27]

ربما لا يمكننا الحديث عن تغيير واضح و كبير في السياسة الخارجية الإيرانية ، إلا انه من الواضح أنها تحاول المناورة بين الايدولوجيا و السياسة الخارجية ، فما الأولى إلا غطاءا نظريا قابل للمرونة إلى درجة معينة بحسب المصالح القضايا المستجدة ، و ما الاتفاق الإيراني الغربي إلى دليل على تلك السياسة .

2- تقاطع الاستراتيجيات بين تركيا و إيران في سوريا :

تشكل منطقة الشرق الأوسط ، بكل ما تتميز به ، من سمات مشتركة و خصوصيات ميدانا واسعا للتنافس و الصراع بين تركيا و إيران في إطار طموحات الدولتين إلى تبوء مكانة القوة الإقليمية المؤثرة ، مع التأكيد على أوجه الفرق في الأهداف البعيدة لمثل هذه الطموحات ، و وسائل تحقيقها . فضمن هذا السياق الجيوسياسي ، بقيت تركيا بالنسبة لإيران المنافس الأكثر خطرا ، برغم من أن انفتاح الحزب الحاكم في تركيا و مد جسور التفاهم مع إيران ، و دعم حقها في التطوير السلمي لبرنامجها النووي و رفض غزوها ، إلا أن هذا ما كان يطامن الحكومة الإيرانية الشيعية .

و قد مثلت الأزمة السورية مفرق طريق في مستقبل نفوذهما في المنطقة ، و ليس ذلك لان الإمساك بسورية هو معركة صفرية فحسب ، و إنما أيضا لأنها تعني تقليص الفضاء الجيوسياسي لإيران و توسيع الفضاء الجيوسياسي التركي ، لذلك تسعى إيران إلى زيادة و استعراض القوة بهدف تحقيق البقاء في بيئة فوضوية تتشابك فيها مصالح القوى (النظرية الواقعية)، و قد كتب الرئيس حسن روحاني في مقاله نشرته جريدة لواشنطن بوست قائلا :" إن ما تحاول إيران فعله اليوم ، هو تحويل التهديد الذي يحيط بها من كل جانب إلى فرص ، و توظف لأجل ذلك التنافس و التعاون في ساحات الصراع المتعددة التي باتت إيران لاعبا أساسيا فيها ، و لا تعدو الساحة السورية أن تكون رقعة شطرنج تحذوا فيها إيران حذو روسيا ، لتمارس استعراض للنفوذ و القوة ، مع تحذير ناعم بتبعات تجاوزها في ترتيبات الأزمة ..."[28]

كما تتأثر تركيا بالوضع في سوريا على نحو مباشر و توليه اهتماما كاملا ، و كأنها حقا مسألة داخلية ، مدركة في آن مصلحتها الراجحة في حدوث التغيير و محدودية خياراتها و قدراتها ، خاصة في ظل تحدي امن الطاقة لمتابعة حركة النمو الاقتصادي ، الذي تراهن عليه على المستوى الداخلي ، مع زيادة في توتر العلاقات بين النخبة العسكرية و النظام الحاكم ، زيادة على ذلك تفاقم حجم التحدي الكردي [29]، و الذي أهملته الحكومة التركية في المعادلة السورية ، في مقابل استغلال أطراف أخرى له لتثبيت تموقعها و السيطرة على الوضع (النظام السوري–إيران ...) أخرى بالضغط على تركيا كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية بعد رفض تركيا المشاركة في الحرب ضد الإرهاب ، حين قامت بدعم الأكراد في الاستيلاء على منطقة كوباني و ما يجاورها ، فقد كان هاجس تركيا الأكبر من إمكانية السيطرة على

جرابلس المدينة الإستراتيجية الحدودية الواقعة نهر الفرات ، و هو ما سيمكن الأكراد من قطع الطريق التجاري المهم في قضية الشرق الأوسط ، و قد عبرت تركيا بأنه خط احمر بالنسبة لها .[30]

تدريجيًّا، غيَّرت الحرب ضد تنظيم الدولة ومكافحة الجماعات المصنفة دوليًّا مع القاعدة في الحرب الأهلية السورية وِجهةَ الأزمة نفسها؛ حيث إن توسع تنظيم الدولة الطارئ وتزايد بسط نفوذه على مزيد من الأراضي خاصة في شمال سوريا، حفَّز حزب الاتحاد الديمقراطي على توطيد توسعه على الأرض هو بدوره، هذا في حين سهَّلت عملية هجوم تنظيم الدولة على "كوباني" تدويل قضية مشروعية الكفاح الكردي. كان تنامي دور حزب الاتحاد الديمقراطي ووحدات حماية الشعب الكردي، باعتبارهما قوتين محليتين جديدتين منخرطتين في الحرب ضد تنظيم الدولة من ناحية، والعلاقات الأيديولوجية والتنظيمية بين حزب العمال الكردي وحزب الاتحاد الديمقراطي من ناحية أخرى، عاملين حاسمين في انهيار عملية السلام التركية في يوليو/تموز 2015. في هذه المرحلة، فإن البُعد الكردي وحزب العمال الكردستاني باتا في قلب اهتمامات السياسة التركية في سوريا.

وعليه رُسمت السياسة التركية حيال سوريا، منذ يوليو/تموز 2015 وإلى يومنا هذا، من خلال إدراكها أربع تهديدات[31]:

- أولًا : تنامي ظاهرة تنظيم الدولة وتزايد كثافة عملياته المسلحة داخل تركيا ذاتها، وكذلك على الحدود التركية–السورية.
- ثانيًا : تنامي مشروعية حزب العمال الكردستاني–حزب الاتحاد الديمقراطي على مستوى الساحة الدولية.
- ثالثًا : الخلاف في الرؤى بين الولايات المتحدة الأميركية من جهة، وتركيا من جهة أخرى، حيال الدعم الذي يجب تقديمه لوحدات حماية الشعب الكردية في حربها ضد تنظيم الدولة.
- رابعًا : ارتفاع وتيرة وحجم التأثير الذي تمارسه السياسة الروسية وعمق انخراطها العسكري في الأزمة السورية.

وضمن هذا المشهد الجيوسياسي المبني حول مستنقع شمال سوريا، وفي الوقت الذي بات فيه الهدف الرئيسي للإدارة الجديدة في الولايات المتحدة هو خلق توازن تكتيكي بين تركيا والأكراد السوريين دون التخلي عن أيٍّ منهما، فإن الهدف الاستراتيجي لروسيا يقوم على تعزيز تأثيرها على مسارات الأزمة السورية، ومن ثم إظهار مدى تأثيرها على كلٍّ من تركيا والولايات المتحدة، وبالتالي تأكيد قدرتها على تشكيل أوضاع وطموحات الأكراد الجيوسياسية في شمال سوريا.

كما سيكون من الصعب جدًّا على تركيا –في ظل غياب أي اتفاق استراتيجي واضح بينها وبين الولايات المتحدة حول الجانب العسكري والتكتيكي للعمليات ، خاصة حول اشتراك قوات سوريا الديمقراطية في العملية– مواصلة تقدمها العسكري ضد قوات وحدات حماية الشعب ليس في منبج فقط، بل وحتى في تل أبيض؛ حيث إن القوات الأميركية ستعمل على منع تركيا من اتخاذ إجراء في هذا الاتجاه ، و هذه الإستراتيجية الاستباقية التي تبنتها تركيا في أجندة سياستها في شمال سوريا ، كانت رسالة للإدارة الأمريكية الجديدة قبل أي كان .[32]

ثمة ما يرجح أننا إزاء تاريخ جديد للشرق الأوسط تلعب فيه القوى الإقليمية -مع روسيا-، و برضى أميركي، الدور الأكبر في تشكيل النظام الإقليمي الجديد، لذلك حرصت تركيا بعد زيادة مؤشرات التهديد و تشابك القضايا على إعادة رسم تحالفاتها و اعتماد الحسابات البراغماتية في المكاسب ، وتأتي في مقدمتها المصالح الاقتصادية ، فهي تحرص على مسألة فصل القضايا مع كل من روسيا و إيران ، اللتان تعتبران أهم مصدر للطاقة بنسبة 60 % و 20% على التوالي، و من جهتها روسيا تدرك هي الأخرى أهمية تركيا الجغرافية لها، كون اغلب تجارتها تمر عبر المياه التركية (50% عبر المضايق التركية)

كما كان هذا التحالف،كرد على اختلال التوازن التركي –الأمريكي في عهد الرئيس الأمريكي السابق براك اوباما ، و الذي تغاضى عن التمدد الإيراني في المنطقة من جهة و إدراكها عدم التعويل على دعم حلف الناتو في حماية أمنها القومي من جهة ثانية ، لكن من الواضح أن روسيا تركز على تحالفها مع إيران[33] ، من اجل إحكام القبضة إلى الشأن السوري ، خاصة بعد التوصل الغربي–الإيراني إلى اتفاق حول البرنامج النووي الإيراني ، وخلافا للكثير من التوقعات ، لم تنزعج روسيا من ذلك ، على اعتبار انه حصر الغرب في مسألة المنظومة الصاروخية الموجهة ضد روسيا ، و هو ما صرح به وزير خارجيتها سيرجي لافروف :" أن هذا الاتفاق يلغي حاجة حلف الشمال الأطلسي لمشاريع الصورايخ البالستية في أوروبا ، و أن المنطق الذي تذرعت به الولايات المتحدة لإقامة تلك الدرع الصاروخية ، هو مواجهة تحدي الصواريخ الإيرانية ، قد زال بعد الاتفاق مع إيران ".

فإدراك روسيا أن التعاون العسكري بينها و بين إيران سيستمر حتى بعد الاتفاق النووي و ذلك راجع لأسباب منها:

- أن الغرب نفسه لن يقدم لإيران ما تحتاجه من ترسانة عسكرية ، لاستفادتها من أخطاء الماضي حول بدايات برنامجها النووي.
- إيران نفسها لا تثق بالغرب ، و لا يمكن أن تربط مستقبل قدراتها العسكرية به . [34]

ومن جهتها تركيا تعمل على تطوير ترسانتها العسكرية في إطار تعديل ميزان القوى في المنطقة، والعمل على توسيع و تعدد المصادر و الشراكات ، فبعد الخلاف السياسي بين أنقرة و واشنطن ، إذ رفضت هذه الأخيرة طلب تركيا بتمديد عمل الطائرات الاستطلاعية بدون طيار (قاعدة انجريك) لدعم الجهد التركي في مراقبة الشريط الحدودي لها مع العراق و سوريا ، لذلك اتجهت نحو الصين على السياسة الغربية من اجل تطوير و إنتاج نظام صاروخي ، و هو ما شكل صدمة الأوساط الغربية ، بحجة أن ذلك سيفرض على تركيا قيودا فيما يتعلق باندماجها مع منظومات الدفاع الجوي لأعضاء الناتو (تعارض التقنيات).[35]

و في مقابل هذا التطور في العلاقات التركية – الروسية ، وجدت إيران نفسها مضطرة للدخول في لعبة مزدوجة قوامها تعزيز علاقتها مع تركيا وإعطاء تسهيلات لروسيا في أراضيها وقبول مكانتها في الصراع السوري. والمعنى أنها لم تقف متفرجة على تعمق العلاقات بين منافستها تركيا

وحليفتها روسيا؛ حيث تتخوف أن يكون على حساب التنسيق بين طهران وموسكو ودمشق ، ولأجل ذلك سارعت لوضع قاعدة همدان العسكرية تحت تصرف سلاح الجو الروسي، الذي قام بطلعات جوية منها لضرب أهدافه في سوريا، وهو تطور بالغ الأهمية في علاقات إيران بروسيا.

الجدير بالملاحظة أن التفاعلات الجارية تتم في ظل الافتقاد لدور عربي فاعل، فالدول التي كانت فاعلة في المشرق العربي (سوريا والعراق) باتت بمثابة ساحة للصراع الدولي والإقليمي، أما مصر فلا يبدو لها أجندة واضحة، في حين أن الدول الخليجية غير قادرة بمفردها على سد هذه الثغرة ، ناهيك عن خلافات بعضها مع تركيا بسبب توجسها من دعمها للتيار الإسلامي، ما يجعلها غير قادرة على استثمار الدور التركي في الشرق الأوسط ، أما إيران فالسياسات التي انتهجتها أسهمت في تقويض صورتها وانحسار نفوذها في المجتمعات العربية .

وهذا كله بصب في مصلحة مجموعة من القوى أولها إسرائيل، بينما تتصارع تركيا وإيران على مكانتهما الإقليمية، سيما في سوريا والعراق، تقف إسرائيل متفرجة تقريبا، ومستفيدة من الصراعات العربية، ومن التنازع بين إيران وتركيا (والسعودية)، ومن تصدع مجتمعات المشرق العربي، على أسس مذهبية وطائفية وأثنية، ما جعلها في ظل هذه الأوضاع الدولة الأكثر استقرارا وتطورا وقوة في المنطقة ، من واضح أن إسرائيل تراقب التطورات الجارية، ما يفسر كمون دورها ربما بانتظار ما ستنجلي عليه الصراعات الداخلية والإقليمية، لاسيما مآلات وضع سوريا والعراق والتنافس التركي الإيراني.[36] مع ذلك فهذا لا ينفي أنها ترى في هذه التحولات فرصة لها لفرض إملاءاتها على الفلسطينيين، وطلب الاعتراف بها كدولة يهودية، وربما فرض نوع من حل أحادي عليهم، كما محاولتها استثمار التنازع الروسي الأميركي، لتعزيز علاقاتها الأمنية والاقتصادية والسياسية مع روسيا، والتنسيق معها في الشأن السوري. ويجدر التنويه، أيضا، إلى التراجع في مكانة قضية فلسطين في الأجندة العربية والإقليمية، بحكم ما يجري في العراق وسوريا وليبيا واليمن، وهو بالتأكيد ما يناسب إسرائيل ، فهي في نفس الوقت تتخوف من تنامي العلاقات بين تركيا و روسيا ، لان مثل هذه الشراكة لها إسقاطات عليها خاصة من المنظور العسكري و الاستراتيجي ، ذلك أنها تضعف التخطيط الأمريكي لاسيما في أسيا الوسطى ،بما يتعلق بالأمن والبترول و كذا يعرقل مسالة احتواء إيران[37]

وما زاد من انكشاف الوضع العربي ، هو الأزمة الخليجية الراهنة ، و التي تتصدر تركيا و إيران تجاذبانها بما يخدم مصالحهما في توازنات المنطقة ، أنتج التدخل التركي في الأزمة الخليجية خلطاً لأوراق خطة الرئيس الأمريكي رونالد ترامب، في منطقة الشرق الأوسط، الرامية إلى تنصيب السعودية زعيماً لدول العالم الإسلامي، وجعل من تركيا لاعبا أساسيا يجب وضعه في الحسبان ، فهي ترفض أن تكون لاعباً ثانوياً في التنافس الدائر حول زعامة العالم الإسلامي ، الدعم التركي للدوحة جاء على خلفية قمة الرياض التي تقضي بأن تستمر الولايات المتحدة في تقديم الدعم للأكراد، كما أنها تهدف أيضاً إلى منع تقارب قطر مع إيران ،وهذه الاخيرة تتخوف من تحالف تركي –قطري ينشأ عنه تقليل الاعتماد التركي

على الغاز الإيراني في مقابل الغاز القطري، هذه الأخيرة التي ستكون بحاجة إلى توسيع و زيادة نموها الاقتصادي بعد الحصار الخليجي عليها ، و هذا كله سيعيد صياغة التحالفات حول الشأن السوري .[38]

الخاتمة :

إن الارتطام الحاد بين استراتيجيات الفواعل الداخلية و الخارجية في الأزمة السورية ، كان لابد أن يحدثا دويا ، خاصة في ظل بيئة معقدة كالشرق الأوسط ، و التي يتحدد فيها التفاعل في الغالب بمنطق توازن القوى ، فلطالما سعت كل من تركيا و إيران لصياغته ، وفق متطلبات الدور و المكانة ، و هذا النمط يتعرض الآن لمتغيرات جديدة و متسارعة تفرضها أسباب كثيرة ، أدخلت المنطقة في حالة من السيولة من الاستقطاب و التحالفات غير المستقرة ، فالي جانب تعقيدات الوضع الداخلي في سوريا ، الا أن البعد الخارجي يلعب دورا مركزيا في توجيه مسارها ، فهي بمثابة الاختبار الأمثل لنموذج العلاقات بين تركيا و إيران بشكل خاص.

ففي هذه المرحلة و بعد دخول الأزمة عامها السابع ، تركيا تناور كثيرا في الشأن السوري ، فهي تضع مسألة وقف تدفق اللاجئين على رأس أولوياتها ، و كذا الحيلولة دون تحقيق حزب العمال الكردستاني مطالبه الانفصالية ، فمن الواضح أن الجانب العسكري للسياسة التركية ، وحساباتها الإستراتيجية تواجه تحديًا تفرضه التحركات الإستراتيجية المضادة ومتعددة الأبعاد؛ فعلى الرغم من أن تركيا ما زالت تملك خيارات مختلفة تجاه حزب العمال الكردستاني في شمال سوريا، إلا أن وجود طريقة تمكنها من مواجهة التحديات التي فرضها الحزب ستكون مهمة صعبة في المستقبل القريب ، خاصة بعد التدخل الأمريكي في هذا الشأن ، و في إطار ترتيب الأوضاع في الشرق الأوسط لمواجهة التداعيات المتلاحقة للازمة ، و محاولة تحريكه كورقة ضغط لتوجيه الإستراتيجية التركية لما يحمي مصالحها و في مقدمتها النفط العربي وامن وجود إسرائيل ، لذلك هي تسعى إلى ترميم التحالف التركي–الإسرائيلي و تثبيته ، و كذا الحيلولة دون أن يكون هناك تقارب تركي–إيراني في المدى البعيد، إلا أن حالة الانتكاسة التركية في تعريف واضح عن الخصوم و الأحلاف، أضعف من قدرتها على التأثير في الوضع .

أما إيران فمنذ أزمة احتلال العراق للكويت و حتى الآن ، توظف تطورات المشهد الإقليمي لخدمة أولوياتها الإستراتيجية ، فهدف صانع القرار الإيراني ، أن لا يمكن تجاوزها في ترتيبات المنطقة ، و تحديدا في سوريا فقد اختارت الولوج العسكري كخيار تفرضه حسابات تاريخية و مستقبلية للعلاقات مع النظام السوري ، و تعزيز المسألة الطائفية في السيطرة على العقد الجيوسياسية المهمة ، إلا أنها تواجه مشكلة اصطدمها ببيئة رافضة لها على المستوى الخارجي ، كما أنها على المستوى الداخلي تواجه نزاعات بينية بين اذرعها في سوريا و في العراق .

و الجدير بالذكر أن تعقيد الأزمة ارتبط أيضا ببعد استراتيجي اقتصادي متعلق بالنفط ، وهو ما يفسره التحالف الإيراني – الروسي في الأزمة ، كعامل صد مواجه للتحالف التركي– الخليجي ، فبرغم من تصارع الاستراتيجيات بين الفواعل الإقليمية و الدولية ، إلا أننا نجد أن مكمن الكارثة في سوريا يمثله غياب القوى السياسية المؤثرة، التي تؤمن

بالحل السياسي ، والقادرة على توفير الأجواء السياسية و الأمنية لتحقيقه ، مع العجز المتعاظم للأمم المتحدة والغرب ، والتي تتحرك ضمن هامش محدود،ووفق اعتباطية الإستراتيجية الدولية لمكافحة الإرهاب . فأمام تعقيد هذا الوضع يقابله تعقيد في الحسابات والخيارات الإستراتيجية بين أطرافه ، وهو ما ينذر بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.

المراجع العربية:

الكتب :

1-الخزندار سامي إبراهيم ، إدارة الصراعات و فض المنازعات ،ط1.بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون،2014.

2-العيسوي عبد الرحمن محمد ،إستراتيجية القيادة العسكرية من المنظور السيكولوجي،ط1. الإسكندرية:دار الفكر الجامعي،2007

3-سبيتان سمير ، تركيا في عهد رجب طيب اردوغان، ط1. الأردن :الجنادرية للنشر و التوزيع ،2012.

المقالات و المجلات :

1-أبو دياب خطاب ، "حسن روحاني أمام مخاطر الاستقطاب الداخلي الحاد "مجلة العرب ، العدد713، اغسطس2017

2-التقرير الاستراتيجي العربي،ط1.تفاعلات وحسابات تركيا مع الحراك الثوري العربي، القاهرة، 2013

3-الرشيدي حسن ،"تطورات علم الجغرافيا السياسية..و أثرها في فهم التفاعلات الدولية الراهنة" مجلة البيان ، العدد6، 2014.

4-أيمن يوسف،العلاقات التركية –الإسرائيلية في ضوء عقيدة العمق الاستراتيجي،قضايا إسرائيلية ،2012.

5-باكير علي حسن ،"محددات السياسة التركية إزاء التحالف الدولي"السياسة الدولية،العدد199، المجلد50،جانفي2015.

6-باكير علي حسين ، الأبعاد الجيوستراتيجية السياستين الإيرانية و التركية حيال سوريا ، المركز العربي للأبحاث ،مارس2013

7-حمادة أمل ،" الشرق الأوسط في التفاعلات الإيرانية– الأمريكية "السياسة الدولية،العدد196، المجلد49،افريل201.

8-خطار أبو دياب، "تركيا و إيران:صراع النفوذ و شيكه المصالح "مجلة العرب،04-03-2017

9-رجب إيمان ، إعادة تقييم النظام الإقليمي العربي في مرحلة مابعد الثورات ، المركز العربي للبحوث و الدراسات،بتاريخ02-04-2015.

10- قبلان مروان ، "تنظيم الدولة الإسلامية تحولات التطام الإقليمي في المشرق العربي" سياسات عربية،العدد16، جانفي 2015،

11- عبد المجيد وحيد ،الشرق الأوسط بين التفكك و التفتيت،"مجلة السياسة الدولية"، العدد 198، االمجلد49، أكتوبر ،2014 .

12- علي عبد القادر محمد ،الموقع الجيوسياسي لتركيا أهميته في الإستراتيجية الغربية، مركز إدراك للدراسات و الاستشارات ،2016

13- طلال عتريسي، "الاستدارة الأمريكية:موقع إيران و دورها الإقليمي في استراتيجيات القوى الكبرى،" تحولات إستراتيجية ، العدد199، المجلد50 ، يناير2015.

14- كرم سعيد، "مراجعة التحالفات:دوافع و تداعيات التقارب التركي–الصيني"السياسة الدولية،العدد195، المجلد49 ،يناير2014.

15- كيمن فؤاد ،توجهات تركيا و إيران في الشرق الأوسط سياسات و مصالح، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية.

16- مازن هاشم ، التحولات الكبرى في منطقة المشرق العربي ، مركز عمران للدراسات ،2014

17- محمود وليد ، "مكاسب إيران و خسائرها من الحرب على الإرهاب" السياسة الدولية، العدد199، المجلد50 ،جانفي2015

دراسات غير منشورة:

1- جمعة أعمار أنبيه ،"المشروع الشرق أوسطي و تأثيره على النظام العربي"(رسالة دكتورا في العلوم السياسية)،جامعة الجزائر،2002.

مواقع الانترنت :

1-الحاج سعيد ، السياسة الخارجية التركية..أسباب التحول و أفاق المستقبل ،عن موقع: www.aljazeera.netبتاريخ12-01-2017

2- العلاقات الإيرانية التركية..التقاء المصالح و تقاطع الأهداف، البيان، عن موقع: www.albayan.ae/بتاريخ07-04-2012.

3-خورشيد دلي،إستراتيجية استباقية:خيارات تركيا لمواجهة الأكراد، المستقبل للدراسات،عن: https://futureuae.comبتاريخ3-5-2016

4-فهمي حسن ،الصراع على الرقة: خيارات تركيا الإستراتيجية، مركز الروابط و الدراسات الإستراتيجية، عن موقع : www rawabetcenter.com/archives/. بتاريخ :04-04-2017.

5-كوش عمر ، التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية ، عن موقع www.aljazeera.net

6-كوش عمر ، مآلات و انعكاسات التوتر لتركي-الإيراني،مركز الجزيرة،www.aljazeera.net بتاريخ 2017-02-24

7-ماجد كيالي، إيران و تركيا و إسرائيل...تغيرات في الاحلاف و الأدوار، مركز الجزيرة ،www.aljazeera.net، بتاريخ24-08-2016.

8- يفغيني كلاوفر،ترجمة(ياسين فاكني)، التركية في قطر..نحو علاقات قوية مع إيران و ضعاف الناتو العربي ، عن موقع https://arabic.sputniknews.com بتاريخ27-06-2017.

المراجع الأجنبية:

: 1- Hassan rouhani ,why iran seeks contructive engagement published ;acces date :september 20-2013.

2-Ina bemmer , these 5 starts explain turky's war on isis and the kurds,31 july2015

الهوامش

[1]: حسن الرشيدي،"تطورات علم الجغرافيا السياسية..و أثرها في فهم التفاعلات الدولية الراهنة" مجلة البيان ، العدد6، 2014، ص59.

[2]: عبد الرحمن محمد العيسوي،إستراتيجية القيادة العسكرية من المنظور السيكولوجي،ط1. الإسكندرية:دار الفكر الجامعي، 2007،ص297.

[3]: سامي إبراهيم الخزندار،إدارة الصراعات و فض المنازعات ،ط1.بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون،2014،ص62.

[4]: أعمار أنبيه جمعة،"المشروع الشرق أوسطي و تأثيره على النظام العربي"(رسالة دكتورا في العلوم السياسية)،جامعة الجزائر ،2002،ص15.

[5]: سمير سبيتان، تركيا في عهد رجب طيب اردوغان، ط1. الأردن:الجنادرية للنشر و التوزيع ،2012،ص ص.124.125.

[6]: فؤاد كيمن،توجهات تركيا و إيران في الشرق الأوسط سياسات و مصالح، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية.

[7] : خطب أبو دياب ،"الفوضى الإستراتيجية: النزاع السوري و احتمالات التفكك في المشرق العربي"مجلة السياسة الدولية،العدد195 المجلد49 ،يناير2014، ،ص10.

[8] : إيمان رجب، إعادة تقييم النظام الإقليمي العربي في مرحلة مابعد الثورات ، المركز العربي للبحوث و الدراسات،بتاريخ02-04-2015..

[9]: وحيد عبد المجيد ،الشرق الأوسط بين التفكك و التفتيت،"مجلة السياسة الدولية"،العدد198،االمجلد49، كتوبر2014،ص38

[10]: إيمان رجب ، مرجع السابق .

[5] : مروان قبلان، "تنظيم الدولة الإسلامية تحولات النطام الإقليمي في المشرق العربي" سياسات عربية،العدد16، جانفي2015، ص ص 9.10.

[2] : عمر كوش،مآلات و انعكاسات التوتر لتركي-الإيراني،مركز الجزيرة،www.aljazeera.net بتاريخ 24-02-2017.

[13]: التقرير الاستراتيجي العربي،ط1.تفاعلات وحسابات تركيا مع الحراك الثوري العربي، القاهرة ، 2013 ، ص ص 238.239.

[14]: وليد محمود، "مكاسب إيران و خسائرها من الحرب على الإرهاب" السياسة الدولية، العدد199، المجلد50 ،جانفي2015، ،ص 109.

[15]: علي حسن باكير،"محددات السياسة التركية إزاء التحالف الدولي"السياسة الدولية،العدد199، المجلد50،جانفي2015،ص ص112.113

[16]: وليد محمود ، مرجع سابق،ص ص 110.111

[17]: علي حسين باكير، الأبعاد الجيوستراتيجية السياستين الإيرانية و التركية حيال سوريا ، المركز العربي للأبحاث ،مارس2013 ، ص6.

[18]: عبد القادر محمد علي،الموقع الجيوسياسي لتركيا أهميته في الإستراتيجية الغربية، مركز إدراك للدراسات و الاستشارات ،2016،ص15.

[19]: علي حسين باكير، مرجع سابق ،ص ص20.22

[20]: أمل حمادة،" الشرق الأوسط في التفاعلات الإيرانية-الأمريكية "السياسة الدولية،العدد196، المجلد 49، افريل 2014،ص90.

[21]: علي حسين باكير، الأبعاد الجيوستراتيجية السياستين الإيرانية و التركية حيال سوريا ، مرجع سابق،ص ص15.16.

[22]: العلاقات الإيرانية التركية..التقاء المصالح و تقاطع الأهداف، البيان، عن موقع:/www.albayan.ae بتاريخ07-04-2012

[23]: عمر كوش، التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية ، عن موقع www.aljazeera.net

[24]: سعيد الحاج ، السياسة الخارجية التركية..أسباب التحول و أفاق المستقبل ،عن موقع:www.aljazeera.net بتاريخ12-01-2017.

[25]: نفس المرجع، نفس الصفحة.

[26]: حسين باكير ، الأبعاد الجيواستراتيجية للسياستين الإيرانية و التركية ، مرجع سابق ،ص ص 09.10

[27]: خطاب أبو دياب ، "حسن روحاني أمام مخاطر الاستقطاب الداخلي الحاد "مجلة العرب ، العدد713، اغسطس2017

[28]: Hassan rouhani ,why iran seeks contructive engagement :published ;acces date :september20-2013

[29]: مازن هاشم ، التحولات الكبرى في منطقة المشرق العربي ، مركز عمران للدراسات ،2014،ص 99.

[30]: Ina bemmer , these 5 starts explain turky's war on isis and the kurds,31 july2015

[31]: فهمي حسن ،الصراع على الرقه: خيارات تركيا الإستراتيجية، مركز الروابط و الدراسات الإستراتيجية، عن موقع www. rawabetcenter.com ./archives/ بتاريخ :04-04-2017.

[32]:خورشيد دلي،إستراتيجية استباقية:خيارات تركيا لمواجهة الأكراد، المستقبل للدراسات،عن: https://futureuae.comبتاريخ3-5-2016

[33]: خطار أبو دياب،تركيا و إيران:صراع النفوذ و شيكه المصالح ، صحيفة العرب،04-03-2017

[34]: طلال عتريسي، "الاستدارة الأمريكية:موقع إيران و دورها الإقليمي في استراتيجيات القوى الكبرى،" تحولات إستراتيجية ، العدد199، المجلد50 ، يناير 2015، ،ص34

[35]: كرم سعيد، "مراجعة التحالفات:دوافع و تداعيات التقارب التركي-الصيني"السياسة الدولية،العدد195، المجلد49 ،يناير 2014، ،ص160.

[36]: ماجد كيالي، إيران و تركيا و إسرائيل...تغيرات في الأحلاف و الأدوار، مركز الجزيرة ،www.aljazeera.net ،بتاريخ24-08-2016.

[37]: أيمن يوسف،العلاقات التركية -الإسرائيلية في ضوء عقيدة العمق الاستراتيجي،قضايا إسرائيلية ،ص96.

[38]: يفغيني كلاوفر،ترجمة(ياسين فاكني)، **التركية في قطر..نحو علاقات قوية مع إيران و ضعاف الناتو العربي** ، عن موقع https://arabic.sputniknews.com بتاريخ27-06-2017.